

كوينتن تارانتينو: المتهم بالسطحية والسرقة والادعاء

المزاوجة بين الأدب والسينما في فيلم «جاكي براون»



تارانتينو.. المثير للجدال دائما



من الطريف أن معظم من يهاجمون تارانتينو ويرفضون أفلامه، يتفقون على براعته في إخراج فيلم «جاكي براون» (1997) ويعتبرونه أفضل أفلامه على الإطلاق

ولويس الأحقق يعتبر أوديل الملجا الذي يوايه بعد خروجه من السجن الذي قضى فيه 4 سنوات، لكنه يتورط بحماقته ويدفع الثمن. والشرطي «راي» بران على أنه يمثل المؤسسة الرسمية التي يخشاها الجميع، إنه أيضا فيلم عن «الثقة»: ثقة كل منهم في نفسه وفي قوته وفي الآخر، أوديل يثق في جاكي وكذلك راي وماكس، لكنها تخدع المجرم الشرطي لكنها لا تخون أبدا الشخصية الوحيدة التي تتمتع بالوضوح والاستقامة والصق، أي «ماكس». لقد كانت صادقة معه من البداية. في الفيلم مبرارة ممتعة في السرد والإداء.. يستغرق المشهد الرئيسي قرب النهاية، مشهد الخداع والتضليل نحو 20 دقيقة، ويدور داخل «مول» تجاري، من ثلاث جهات نظر. في كل مرة نشاهد المزيد من التفاصيل التي كانت خافية علينا. ويعكس المشهد براعة تارانتينو في التلاعب بالسرد كما سيفعل دائما أو مجرد الابتكار في تصوير القصة، بل أساسا للكشف عما تخفيه الشخصيات. «جاكي براون» عمل أصيل رغم اعتماده على أصل أدبي، فقد صنع تارانتينو السيناريو بأسلوبه، وجعل الشخصيات تعيش وتتفلسف واقعا. والمساحات المتروكة في ما بينها، تسبح لنا بالتأمل والأفكار في ما سيحدث لها، بل في كيف ستجلب هي الحدث يحدث، فكلها على نحو أو آخر، شخصيات فاعلة، لكن معظمها خاسرة. المرأة فقط هي التي تربح اللعبة، وتارانتينو طبعاً!

إحدى عملياته. بومونت متردد، يخشى العواقب، يضغط عليه أوديل، ويذكره بالكفالة، يمنحه سلاحا اليا ويطلب منه أن يختبئ في الصندوق الخلفي لسيارته.. يرفض بومونت بشدة. يغيره أوديل بأنهما بعد القيام بالعملية سيذهبان معا لتناول حساء الدياتج والحلوى التي يحبها بومونت. يتاوه بومونت بعد أن سال لعبه لهذه الوجبة. يختبئ في مؤخرة السيارة التي يقودها أوديل ثم يتوقف في مكان خال، ويخرج لكي يطلق الرصاص على بومونت فهذا هو هدفه الأول من «اصطياده». لا تملك سوى أن تضحك وانت تشاهد مشهدا كهذا.

بعد القبض على جاكي يلجا أوديل إلى «ماكس» مجددا لإطلاق سراحها بكفالة. يعرض ماكس توصيلها إلى منزلها. يبدو أنه وقع في غرامها من أول نظرة. لقد أسرته شخصيتها وجاذبيتها. لكنها ليست امرأة سهلة. وهي تدرك أن أوديل سيسعى لقتلها متصورا أنها وشتت به للشرطة. وهو لا يضع الوقت بالفعل، فيأتي إلى منزلها في نفس الليلة. لكنها تكون قد استعدت للموقف. لقد سرقت مسدس ماكس وهي الآن تغرزه في بطن أوديل. هي لن تقتله لكنها بدلا من ذلك ستقتعه بانها يمكن أن تخدع رجال الشرطة الذين يطلبون تعاونها معهم للايقاع به، وأنها ستتمكن من تضليلهم وتهريب مبلغ نصف مليون دولار في المرة القادمة وتسرد له الخطة التي تبدو شديدة الإقناع. في مشهد من أكثر المشاهد طرافة يأتي ماكس في الصباح إلى جاكي، لكي يستعيد المسدس الذي تقول جاكي إنها «اقترضته» منه. لكنه مشدود إليها.

ستدخل في الخطة أطراف أخرى، منها ماكس ولويس وميلاني. ماكس سيساعدها في تنفيذ خطة لخداع كل من أوديل والشرطة بعد أن أقتعت كل طرف بانها تعمل لحسابه.

في أحد المشاهد التي تجمع جاكي وماكس، تساله فجأة: ألا تشعر بتأثير الزمن؟ يقول إنه يلحظه لكنه لا يهتم كثيرا بالأمر. تقول إنها تشعر بالخوف من التقدم في العمر. لقد قضت 19 عاما من حياتها تدور في هذه الحلقة المفرغة. الشعور بالوحدة، وتعاقب الزمن، يقلقان عليها إنها تحتاج إلى الشعور بالحب والتمتع بما بقي من العمر. ماكس وجاكي يشعرا بالوحدة، ولكن تارانتينو لم يبق أن يجعل فيلمه ينتهي نهاية تقليدية سعيدة من تلك التي يتوقعها الجمهور. أمامنا شخصيات وحيدة حزينة. ياأسفة. أوديل يريد المال لكي يتقاعد ويعيش حياة مريحة. وميلاني تبحث عن الأمان الذي حرمت منه منذ طفولتها.

مجرما، وشرطة، وجرائم قتل، وتهريبا، إلا أن الفيلم لا يعتمد على «الحبكة» وتطورها وما تخبره فيها. فهو ليس فيلم حبكة بل فيلم شخصيات ومواقف، فيها من الخشونة والقوة بقدر ما فيها من طرافة. ورغم أن زمن الفيلم يمتد لأكثر من ساعتين ونصف الساعة إلا أنه يشدك تماما. ورغم بروز أداء صامويل جاكسون وقوة شخصيته في دوره كمجرم يمارس القتل بدم بارد تماما، إلا أنه يتمتع أيضا بالطرافة وخفة الظل والجانزية، أما الجاذبية الأكبر فتركز في شخصية بامبلا غريير التي تأسرك بتلونها من مشهد إلى آخر، من الضعف والتردد والفزع، إلى القوة والسيطرة والتحكم، ومن الظواهر بالخشوف والتلعثم أمام الشرطة، إلى الجرأة والاقتحام والتهديد المبطن، ثم الثقة التي لا تفقد الرومانسية أيضا وتخفي مسحة من الحزن.

هناك 8 شخصيات رئيسية في الفيلم، يمنحها تارانتينو اهتمام السيناريو، ينتقل في ما بينها في سلاسة وبحيث تتضح لنا ملامحها أكثر فآكثر مع كل مشهد. أولها «أوديل» (صامويل جاكسون) الذي يبيع الأسلحة للمجرمين، وهو يتطلع الآن إلى نقل نصف مليون دولار مودعة في المكسيك لكي يكمل المليون ويتقاعد تقاعدا مريحا «جاكي» (بام غريير) لحسابه في تهريب المال له من المكسيك. لكنها تقع في قبضة ضابط الشرطة «مارك» (مايكل بوين) وضابط مكافحة التهريب في المطار «راي» (مايكل كيتون). تقيم مع أوديل فتاة شقراء مدمنة كوكابين ومشاهدة مسلسلات هي «ميلاني» (بريجيت فوندا)، هي ليست عشيقته لكنها إحدى الفتيات اللاتي يستخدمهن. ينضم إليه مساعده «لويس» (روبرت دي نيرو) بعد أيام خروجه من السجن. يرتكب «بومونت» (كريس تاكر) أحد رجال أوديل جريمة حمل سلاح بينما هو في فترة العفو المشروط. يلجا أوديل إلى «ماكس» (روبرت فورستر) المتخصص في دفع الكفالات لكي يدفع 10 آلاف دولار كغالة ويخرج بومونت من مازقه.

طرافة الحوار

هذه هي الشخصيات الثماني، والخيوط الرئيسية التي تربط بينها. نحن نعرف من البداية أن أوديل يفرج عن «بومونت» لكي يقتله بعد أن تأكد من وشايته به للشرطة. إنه يذهب إليه في مسكنه في منتصف الليل ويطلب منه أن يقدم له خدمة مقابل دفعه الكفالة. ومن خلال حوار غاية في الطرافة، يغري أوديل «بومونت» بأن يأتي معه في

تاجر سلاح ومجرم أبيض إلى رجل أسود لا يكف عن استخدام كلمة «زنجي» neger طوال الوقت لتحقير الجميع بما في ذلك البيض. وجعل تارانتينو الشخصية الرئيسية التي يحمل الفيلم في الرواية) وأسند دورها إلى نجمة أفلام «الموجة السوداء» في السبعينات، بامبلا غريير التي تقوم بدور «جاكي براون» وهي مضيقة طيران في الرابعة والأربعين من عمرها، أمضت 19 عاما في العمل لحساب شرطة طيران مكسيكية صغيرة. لا يكفها راتبها البالغ 16 ألف دولار سنويا، لذلك تقبل العمل لحساب «أوديل»، تنقل له دفعات من أمواله المودعة في حساب خارجي في المكسيك. لا تقدم «جاكي» في الفيلم ما ينتظره الجمهور من بطة أفلام «الموجة السوداء»، أي العنف والقتل وسفك الدماء والقفز فوق الأسوار والمطاردة بالسيارات. إلخ، بل هي شخصية هادئة تماما، تتمتع بالحكمة والذكاء، تدبر خطة عبقرية تجعلها تتلاعب بجميع شخصيات الرجال على الجانبين، وتنتصر عليهم جميعا، وتفوز في النهاية بالفنمية: جاكسون.

التلاعب بالرجال

هذا فيلم «فيمست» مثالي، ربما لم تكن لتخرجه امرأة على كل هذا النحو من القوة والتماسك وتصوير قدرة امرأة على التلاعب بالرجال بذكاؤها وليس بجسدها. وهو يختلف دون شك، عن فيلمي تارانتينو السابقين اللذين منحاه شهرته الكبيرة: «خيال رخيص» Pulp Fiction و«كلاب المستودع» Reservoir Dogs.

يستوحى تارانتينو من خياله السينمائي، يعود إلى أغاني السبعينات الشهيرة يجعلها الخلفية الموسيقية لفيلمه. ورغم أن لدينا في هذا الفيلم

الآن) الذي يستند إلى أصل أدبي، فهو يقوم على رواية ذائعة الصيت للكاتب الأمريكي إلمور ليونارد بعنوان Rum Punch (اسم مشروب مكون من عصير الفواكه والسرور)، صدرت عام 1992 وأصبحت من أكثر الروايات توثيقا. إلا أن تارانتينو لم يلتزم بالرواية تماما، بل شأنه شأن كل فنان حقيقي، ترك لخياله العنان، وكتب السيناريو بحيث نقلها إلى مستوى آخر يتعلق بالجنس واللون، مع إضفاء نكهة خاصة ممتعة على الحوار، والاستلهام من نوع من الأفلام التي تعيش في ذاكرة تارانتينو. هذا النوع عرف باسم أفلام «الاستغلال الأسود» blaxploitation أي مجموعة الأفلام التي ظهرت في أوائل السبعينات من إخراج وتمثيل عدد من الفنانين السود، وكانت تعلي كثيرا من شأن البطل الفردي الأسود العنيف في رد مباشر على سينما البطل الأبيض، وجميع أبطالها ومخرجيها من الأمريكيين السود. ومن أشهر هذه الأفلام «شافت» (Shaft) الذي أخرجه غوردون باركس ثم أعادت هوليوود إنتاجه مؤخرا في فيلم جديد من إخراج تيم ستوري وبطولة صامويل جاكسون.

أفلام «الاستغلال الأسود» تسمية غير دقيقة كونها لم تستغل أحدا، والأفضل تسميتها بـ«أفلام الموجة السوداء»، نالها هجوم من جانب الكثير من النقاد والكتاب والمثقفين السود الذين رأوا أنها تدفع السود بالعنف والجريمة وتساهم بالتالي في ترسيخ صورة سلبية عنهم لدى البيض الأمريكيين. وهي فرضية صحيحة خاصة إذا تأملنا سلسلة الأفلام التي قام ببطولتها الممثل جيم براون.

أما صامويل جاكسون فهو حاضر كشخصية رئيسية في فيلم «جاكي براون»، بعد أن قام تارانتينو بتحويل شخصية «أوديل» التي يقوم بها، من



تارانتينو أعاد اكتشاف بطة «الموجة السوداء»



أمير العمري كاتب وناقذ سينمائي مصري

لم يسلم المخرج الأمريكي الشهير كوينتن تارانتينو من الاتهامات الشديدة المستمرة منذ سنوات. فهو متهم تارة بمعاداة المرأة والتقليل من شأنها في أفلامه، وتعمد إغفال دورها أو تهيمشه وتسطيحه. وقد اتهمته إحدى الصحافيات في المناقشة التي أعقبت عرض فيلمه الإحدث «ذات مرة في هوليوود» في مهرجان كان (مايو الماضي) بأنه جعل مارغوت روبي التي قامت بدور شارون تيت، صامتة في معظم المشاهد التي ظهرت فيها!

وتارة أخرى يتم اتهامه بسرقة مشاهد من أفلام غيره، أو بالإفراط في الاستعراضي الشكل في التعامل مع أدوات السينما (حركة الكاميرا والمونتاج للإحياء بالتجديد، كما يتهمه كثيرون بالإفراط الشديد في تصوير العنف بغرض الإثارة، وبأنه مولع باستعراض عضلاته كأي مراهق يمسك بالكاميرا.

لويس ماكيفوي على سبيل المثال، يقول إن تارانتينو ليس مخرجا عظيما، بل مجرد صانع أفلام للتسلية، يسرق الكثير من المشاهد من أفلام غيره، يزعم أنه ضمها إلى أفلامه على سبيل «التحفة» لهؤلاء المخرجين، ويرى أن شخصيات أفلامه فارغة، تدعي الحكمة، وأنه «مدمن مشاهدة أفلام قديمة، متخصص في تقديم ما يتوقعه الآخرون، أي خليط من التسلية وليس فنا».

ويستنكر الكاتب لي سيغال أن يكون هناك من لا يزالون بعد فيلم «أوغاد مجهولون»، ينظرون إلى تارانتينو بجديّة، مضيفا أن الهدف الوحيد من أفلامه هو التعليق على أفلام أخرى لترسيخ مبدأ المحاكاة باعتباره نوعا من «الإصالة الخاصة».

أما ديفيد فرنش فقال موجه حديثه إلى تارانتينو «أفلامك رديئة، ليس لأي سبب، ولكن لأنها ببساطة رديئة. ولكن لا تقل للصحافة السينمائية، فمن النادر أن يرى المرء مثل هذا الاحتفاء الكبير بمخرج يصنع هذه القمامة!» ومن الطريف أن معظم من يهاجمون تارانتينو ويرفضون أفلامه، يتفقون على براعته في إخراج فيلم «جاكي براون» (1997) ويعتبرونه أفضل أفلامه على الإطلاق، غير أن المفارقة أن هذا الفيلم تحديدا يمكن اعتباره أقوى رد عملي على الكثير من هذه الاتهامات وأولها موضوع تهيمش المرأة واحتقارها. صحيح أنه الفيلم الوحيد من أفلام تارانتينو (9 أفلام روائية طويلة حتى